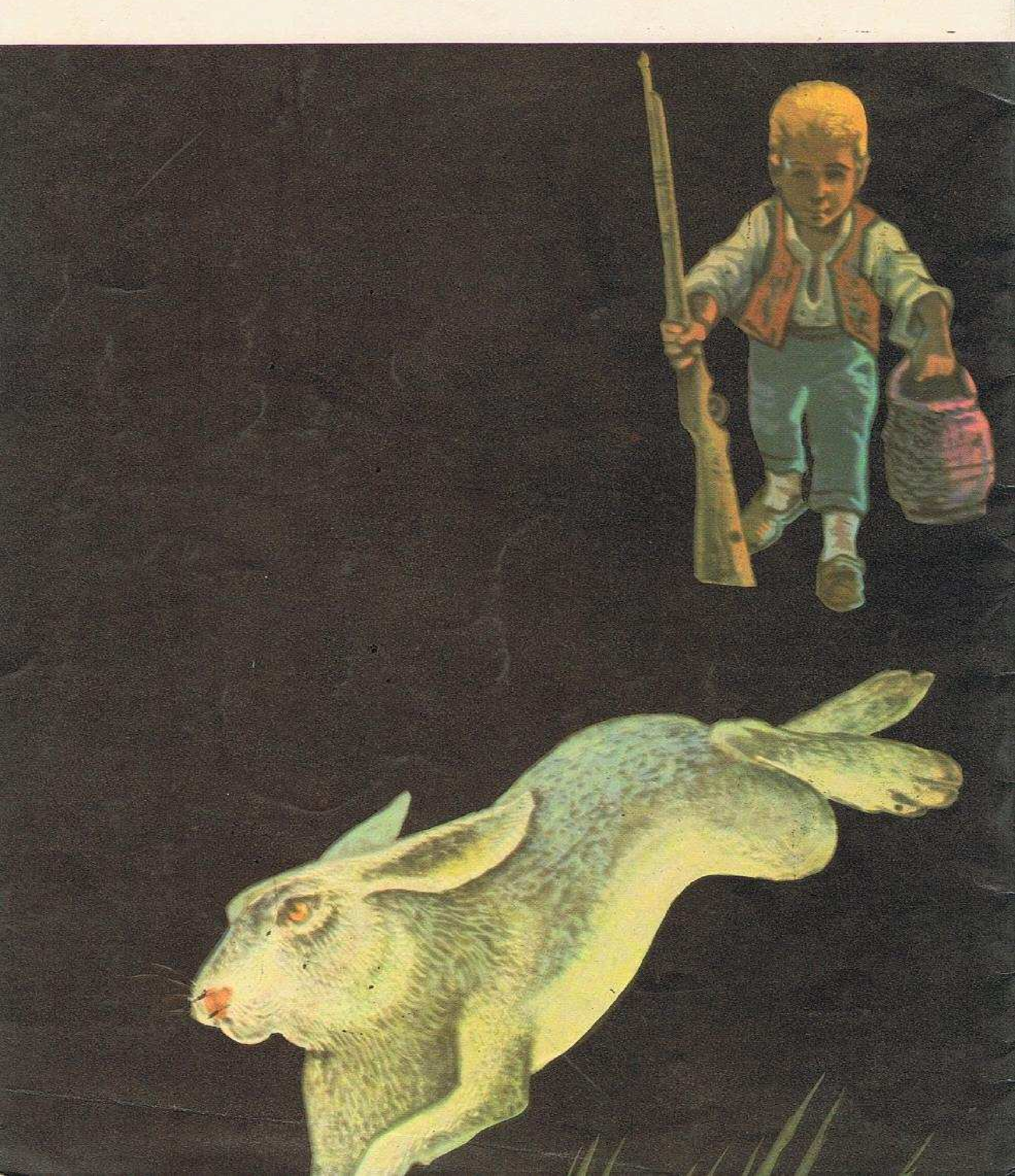
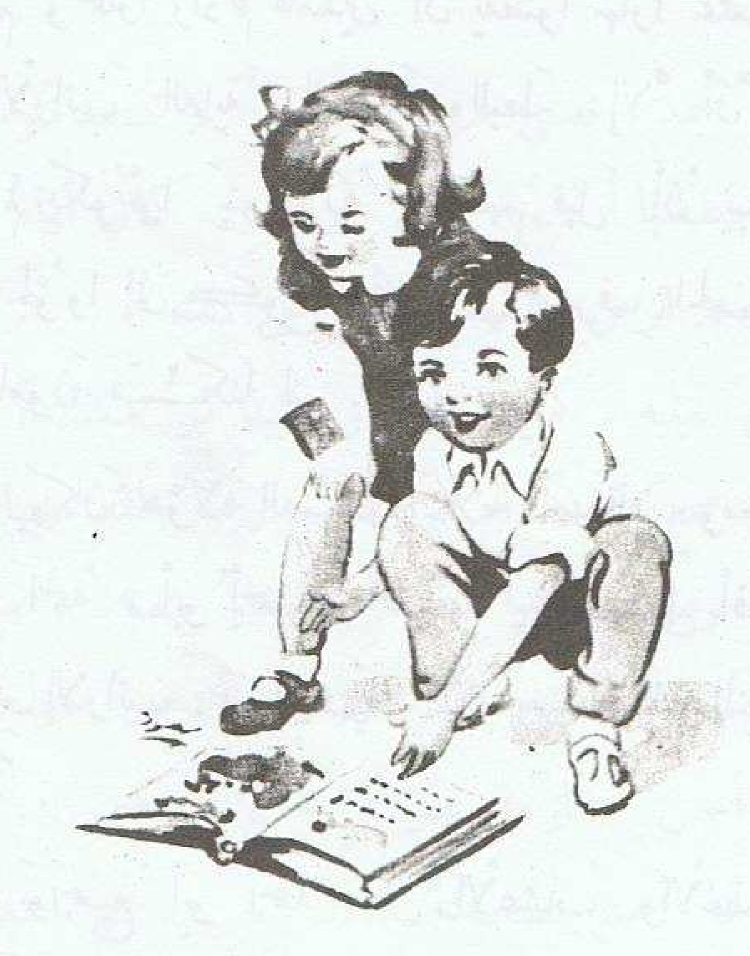
البندقية والذهب



حكايات مصورة للأطفال

البندقية والذهب



دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش

البندقية والذهب

خَرجَ جماعةٌ من الصيادينَ مِنَ القريةِ الصغيرةِ الوادعةِ قاصدينَ وادياً خِصباً من وديانِ بلادِنا الجميلةِ ، وقد تنكَّبوا بنادقهم وَحملوا زادَهم قاصدينَ أن يقضوا نهاراً مُمتعاً يَصيدون فيهِ الأرانبَ البريةَ والطيورَ والبطَ . إلاّ أنَّ المطرَ الغزيرَ الذي لم يكونُوا يَتوقعونَهُ داهَمَهم قبلَ أنْ يبدؤوا الصيد ، لهذا لجؤُوا إلى كوخٍ صغيرٍ في طرفِ الجبلِ ، يستعمِلهُ الفحَّامونَ مَسْكناً لهم .

وَكانَ هؤلاءِ الصَّيادونَ ثلاثةَ أصدقاءٍ ، ومعَهم دليلٌ من القريةِ اسمهُ « أبو أحمد » صَحِبَهم ليدُلَهمْ على أفضلِ الأمكنةِ لصيدِ الارانبِ في الوادي ، لأنه يعرف تلك المنطقة معرفةً واسعةً .

وَجمعَ أبو أحمد بعضَ الأعشابِ والأغصانِ الجافةِ ، وأشعلَ بها ناراً ، وتجمَّعَ الصيادون حولها يستدفئونَ بانتظارِ أن يتوقفَ المطرُ عن الهطولِ . .

وهكذا جلسَ هؤلاءِ حولَ النارِ يقطعونَ الوقتَ بالحديثِ

.. ومضتْ أكثرُ من ساعةٍ ، وما زالَ المطرُ يقرعُ سقفَ الكوخِ وجوانبهُ ، وينسجُ على الوادي الذي كانُوا يَرونهُ من خِلالِ البابِ بُرقعاً من رَذَاذ الماء .

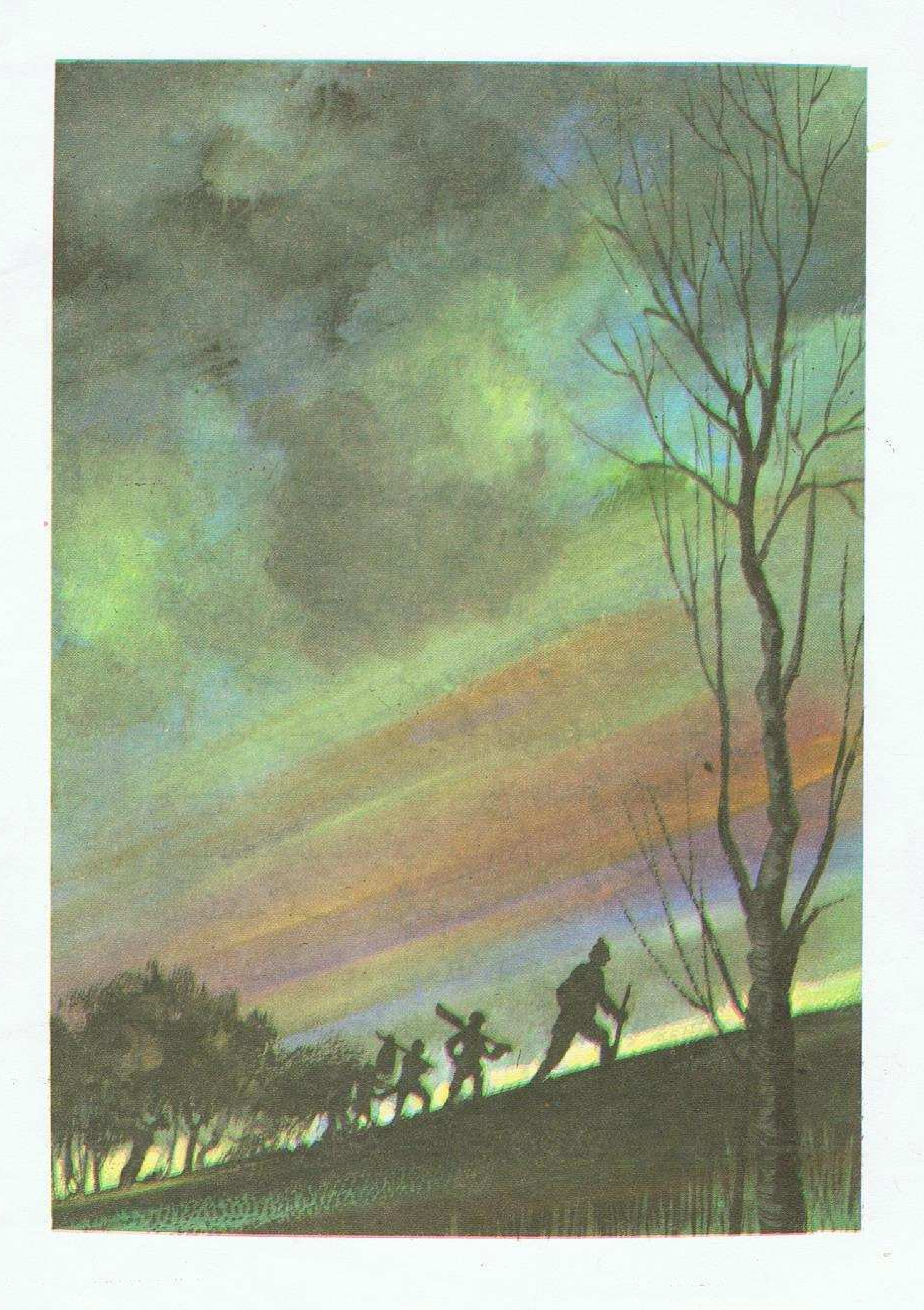
وقالَ أبو أحمد مخاطباً هؤلاء الصيادين : إذا سَمَحْتُم لي .. فأنا سأقُص عليكم قصةً غريبةً .

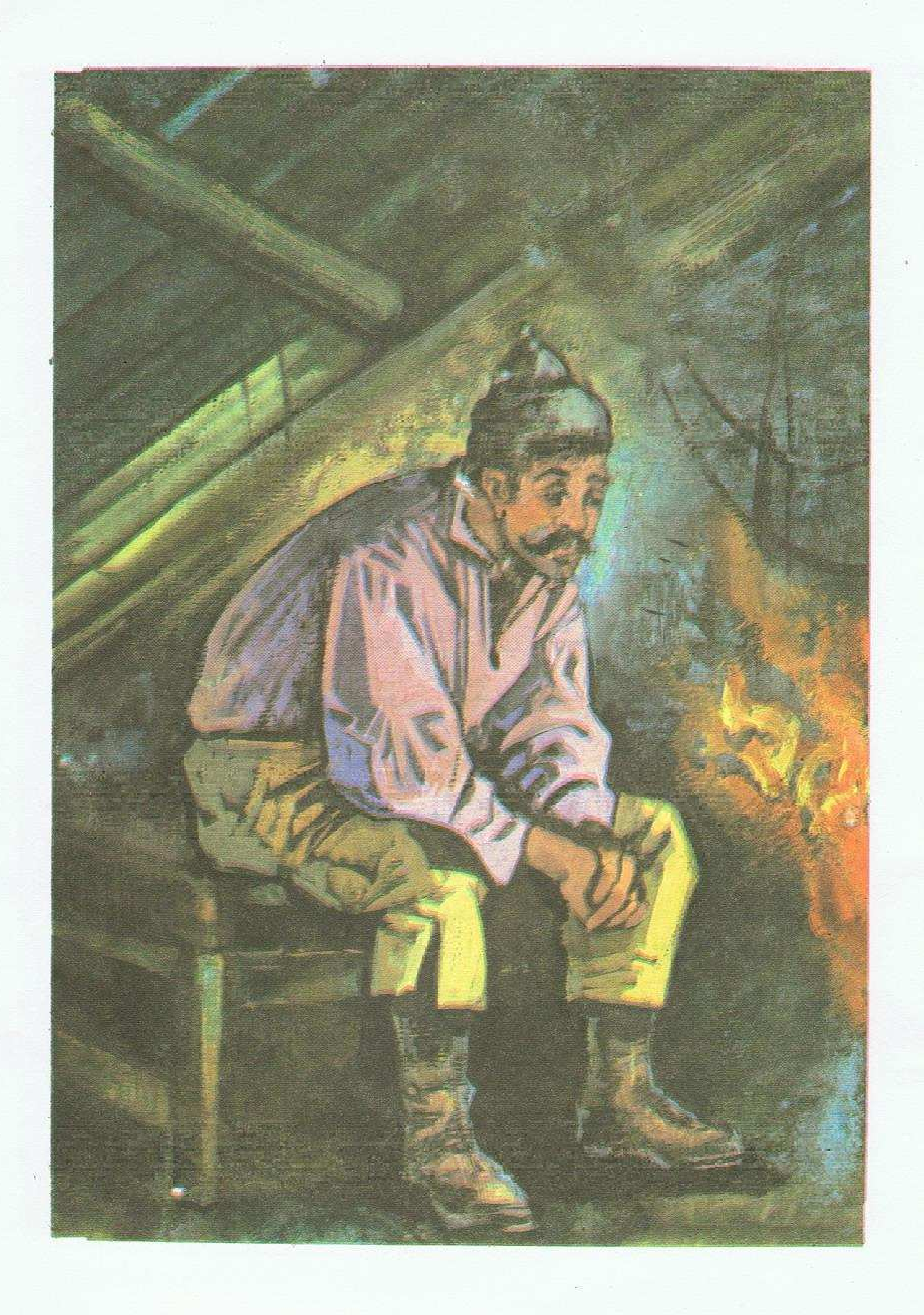
فقالوا لهُ جَميعاً بصوتٍ واحدٍ : وكيفَ لا نسمحُ .. تفضلْ يا أبا أحمد !

قال أبو أحمد : قصتي غريبةٌ .. قدْ لا تُصدّقُونها .. ولا سيما أنَّ بَطلَها أرنبٌ . وأيُّ أرنبٍ .. كأني أراهُ أمامي الآن رَغم بُعْدِ الزمنِ وانقضاءِ الأيامِ على ذلكَ ..

وأغمضَ عينيه ، كمنْ ينظرُ أو يتَذكرُ مَشْهداً بخيالهِ وقالَ : كأني أسمعُ الآنَ امرأةَ عمي ، رحمةُ اللهِ عليها وهي تَصيحُ حينَ وضَعتْهُ على الطاولةِ والبخارُ يتصاعدُ منهُ : يا ساتِر ، ياربّ ، ما أثقلَ هذا الأرنبَ ! وحينَ حاولَ عمّي أنْ يَقطَعهُ أحسَّ بُمقاوَمةٍ عَنيفَةٍ تحتَ السكينِ ..

وأخذَ أبو أحمد يضحَكُ لذكرياتِهِ .. ثُمَّ اعتدلَ في جلستِهِ ، وتابعَ حديثهُ مُبتَسِماً ، إذنْ .. كما قُلتُ لَكُمْ أحسَّ عمي تحتَ السكينِ بشيءٍ يُقاومُ حدَّها في ضُلوعِ الأرنبِ فيمنعُها من تَقْطيعهِ .. وَما كانَ من عمي إلاَّ أنْ





كَبَسَ وَضَغَطَ ، فغابت السكينُ في جوف الأرنبِ ، وإذا بليرةٍ ذهبيةٍ تَظْهرُ وهي تلمعُ .. بَلْ عشرٍ .. بَل عشرين ليرةً ذهبيةً تتدحرجُ وتتراطمُ على الصينيةِ . يا لذاكَ المشهد ما كانَ أغْرَبَهُ !

وكادَ الصيادونَ أن يقولوا حينَ وصلَ أبو أحمد في حديثه إلى الليراتِ : قصتُكَ لا يُصدقُها عاقلٌ يا أبا أحمد . إلا أنهمْ تذَكروا ما وَعَدوهُ به من أنهم سيُصَدِقونَهُ ، فما زادوا على أنْ قالوا : غَريبةٌ يا أبا أحمد . قِصتُكَ غَريبةٌ جداً !

فأجابهم بقَولهِ : كلا ، بالعكس .. ليس أبسطَ منها ، اسمعُوا بَقيتَها . كان عمري آنذاك اثني عشَرَ عاماً ، وكنتُ أُرافقُ في ذلك اليومِ المشهورِ ، عُمَرَ آغا والدَ مُصطفى آغا ، صاحبَ البساتينِ الكثيرةِ المشهورةِ بطيبِ ثمارِها واتساعِها ، وكان عُمرَ آغا رَجلاً طَيباً ، غنياً جداً ، إلا أنه بخيلاً شديدَ البخل .

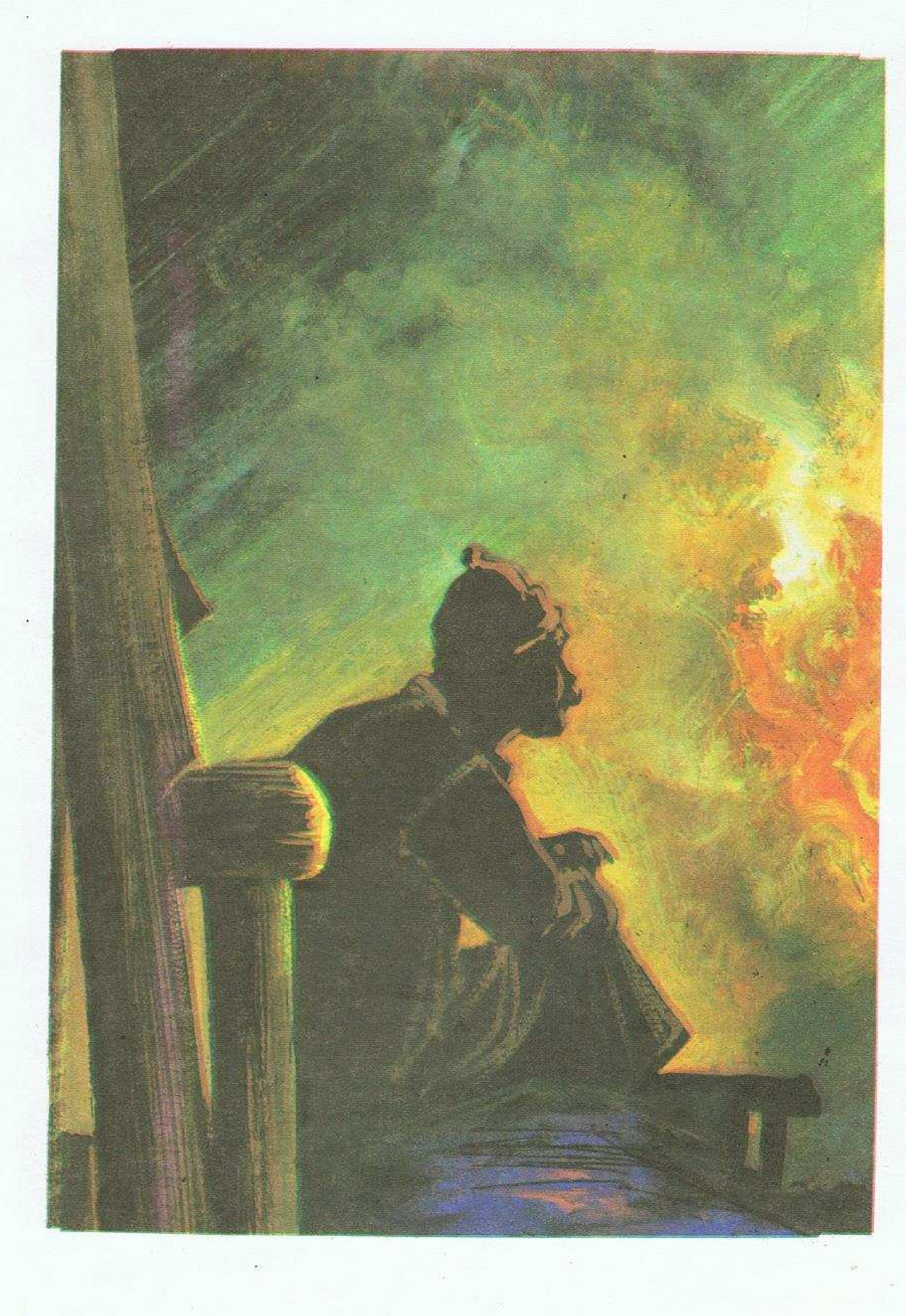
كانَ والدي مُرابعاً عِندَهُ ، وحينَ فرغتُ من الذهاب إلى الكُتَّاب ، إذْ لم يكنْ في ذلكَ الحينِ مدارسٌ جميلةٌ كثيرة مُنتشرةٌ في كلِ مكانٍ كما نشاهدُ اليومَ في بلادنا ، أدخلني والدي في خدمَةِ الآغا الذي جعَلَني تابعاً لهُ ، أحملُ كِنانتهُ ، وأنظفُ جزْمَتَه ، واشتري لهُ كلَ ما يحتاجُ إليه ..

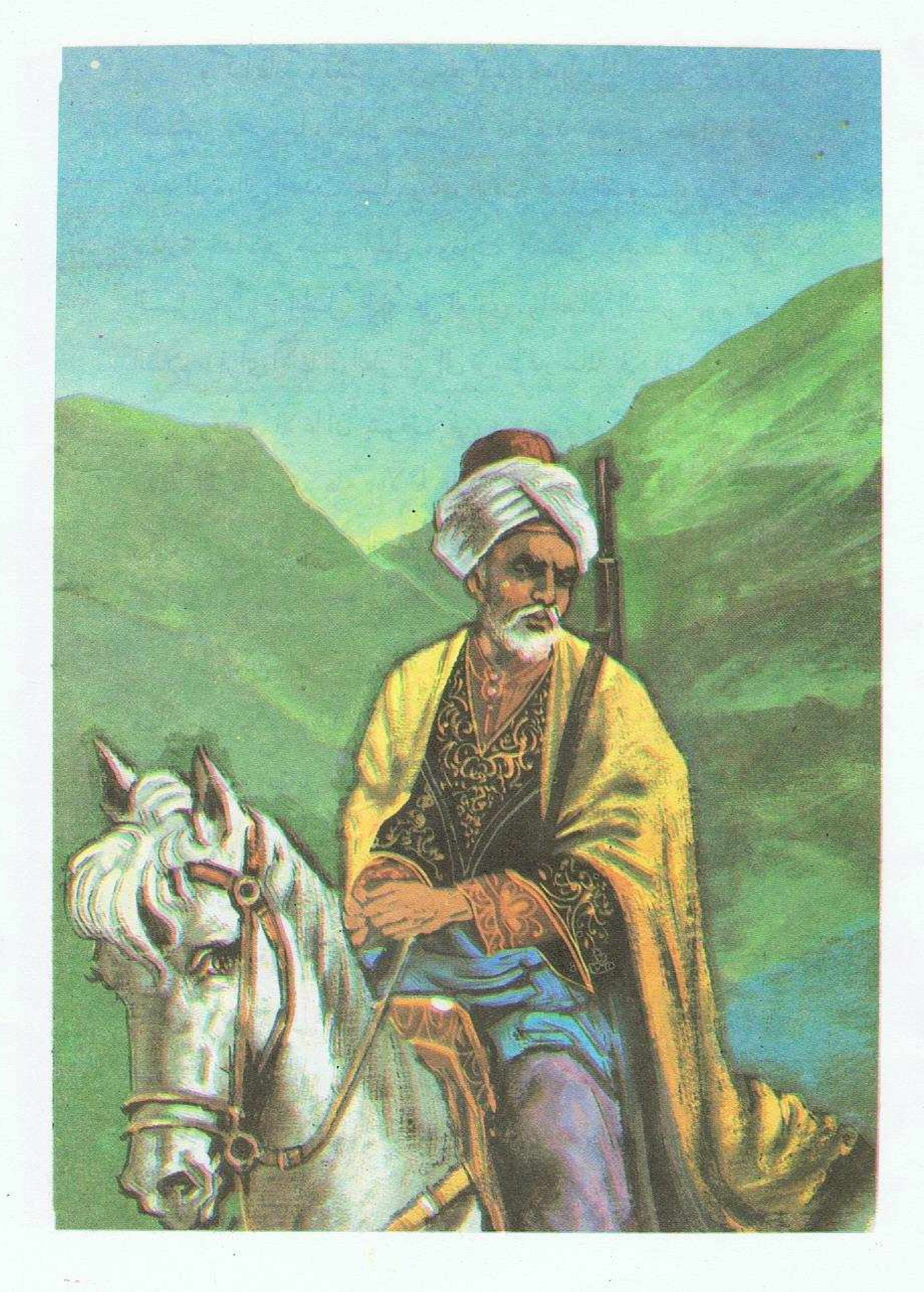
وكانَ لقاءَ ذلكَ يُطعِمُني ، ويدفعُ لي اجرتي ملابسَ عتيقةً .

وكانَ الآغا يركبُ حصانَهُ العجوزَ كلَ شهرٍ ويتوجه الى المدينةِ ، فيجتازُ هذا الجبلَ الواقفَ فوقَنا ليرى خُضرةَ بساتينهِ وفواكِهِها ويقبضُ حسابَها من صاحبِ الخانِ الذي ينزلُ لديهِ . والمدهِشُ في الأمرِ أنَهُ ما من انسانٍ رأى الآغا يعُودُ بكيسِ نقودٍ منَ المدينةِ وحتى أنا الذي كنتُ ألازمهُ دائماً لم أرَ النقودَ .. إذ انه كانَ يطلبُ اليَّ الذهابَ الى السُوقِ لشراء بعضِ الحاجياتِ بعدَ أنْ يكونَ قد استلَمَ حِسابَهُ . . وحينَ أعودُ لا أرَى أي أثرٍ للنقودِ .

وذاتَ مساءٍ ، مساءِ ذلكَ اليومِ ، يومَ الأرنبِ ، بَعدَ أنْ قبضَ الآغا نقودَهُ مِنْ صاحبِ الخانِ وأرسلَني الى السُوقِ حسبَ العادةِ خرجْنا من المدينةِ عائدينَ الى القريةِ . وكانَ الآغا راكباً حصانَهُ العجوزَ ، يقودُهُ بخطواتٍ بطيئةٍ وأنا أتبعُهُ على قدمي وعيناي تتمتعانِ بمرأى الحقولِ الجميلةِ المزينةِ بالنقوشِ ، وبالبُندقيةِ التي يَحملها على كتفِهِ .

وكنتُ على صغرِ سني ، مَشْغوفاً بالأسلحةِ الناريةِ ، وكنتُ على استعدادٍ للتضحيةِ بأي شيء مُقابلَ استعمالِ بندقيةِ الآغا ، ولكنَّهُ ما كانَ ليُفارقها لحظةً حتى كانَ الفلاحُونَ يقُولونَ ساخِرينَ : لا شكَّ في أنها تُشاركُهُ فراشَهُ !





وكنا عادةً، نَنْتهي من سفراتنا، ذهاباً وإياباً، بينَ شُروقِ الشمْسِ وغروبها، الا أنَّ حصانَ الآغا فَقَدَ احدَى حدواتهِ في هذه المرةِ التي أتحدثُ عنها، وكانَ الوقتُ عندَ الغروبِ، في قريةٍ صغيرةٍ جداً، في سفحِ الجبلِ، وغابتِ الشمسُ وهبطَ الليلُ على السهلِ، وأناخَ الجبلُ ظلهُ على الوادي. وأغصانُ الشجرِ تهومُ في الظلامِ، فرأى الآغا أن الطريقَ إلى قريتنا غير سالمةٍ في الليلِ.

وقرَّرَ الآغا أنْ يتوقفَ في بيتِ عمٍ لي كانَ يسكنُ في تلكَ القريةِ، وتربطهُ بالآغا علاقاتُ صداقةٍ واشغالٍ قديمة. وكانَ عمي هذا يحبُ الصيدَ حباً شديداً، وعرفَ في المنطقةِ كلها بولعهِ به.

لم يكنْ عمي يملكُ سوى غرفةٍ كبيرةٍ واحدةٍ يعيشُ فيها مع زوجتهِ، فيناما في ركنٍ، ويطبخانِ ويستدفئانِ على مدفأةٍ ضخمةٍ مقابلَ البابِ، ولضيقِ المكانِ نامَ الآغا على طراحة ونمتُ أنا على الأرضِ، قربَ النارِ.

كانَ نومي منذُ صغري خفيفاً، وما مرَّ على منتصف الليلِ الا وقتٌ قصيرٌ حتى أحسستُ بحركةٍ في الغُرفة ففتحتُ عينيَّ فرأيتُ عمي قد قامَ، وتناولَ بُندقيتهُ واتجه نحو البابِ واذْ مرَّ الى جانبي رآني مُفتح العينينِ، فقالَ لي: ياعلي - هذا كانَ اسمي قبلَ أنْ أصبح أبا أحمد - هلْ تريدُ أنْ

أعلمُكَ كيفَ تَصْطادُ الارنبَ في حجرِه . .

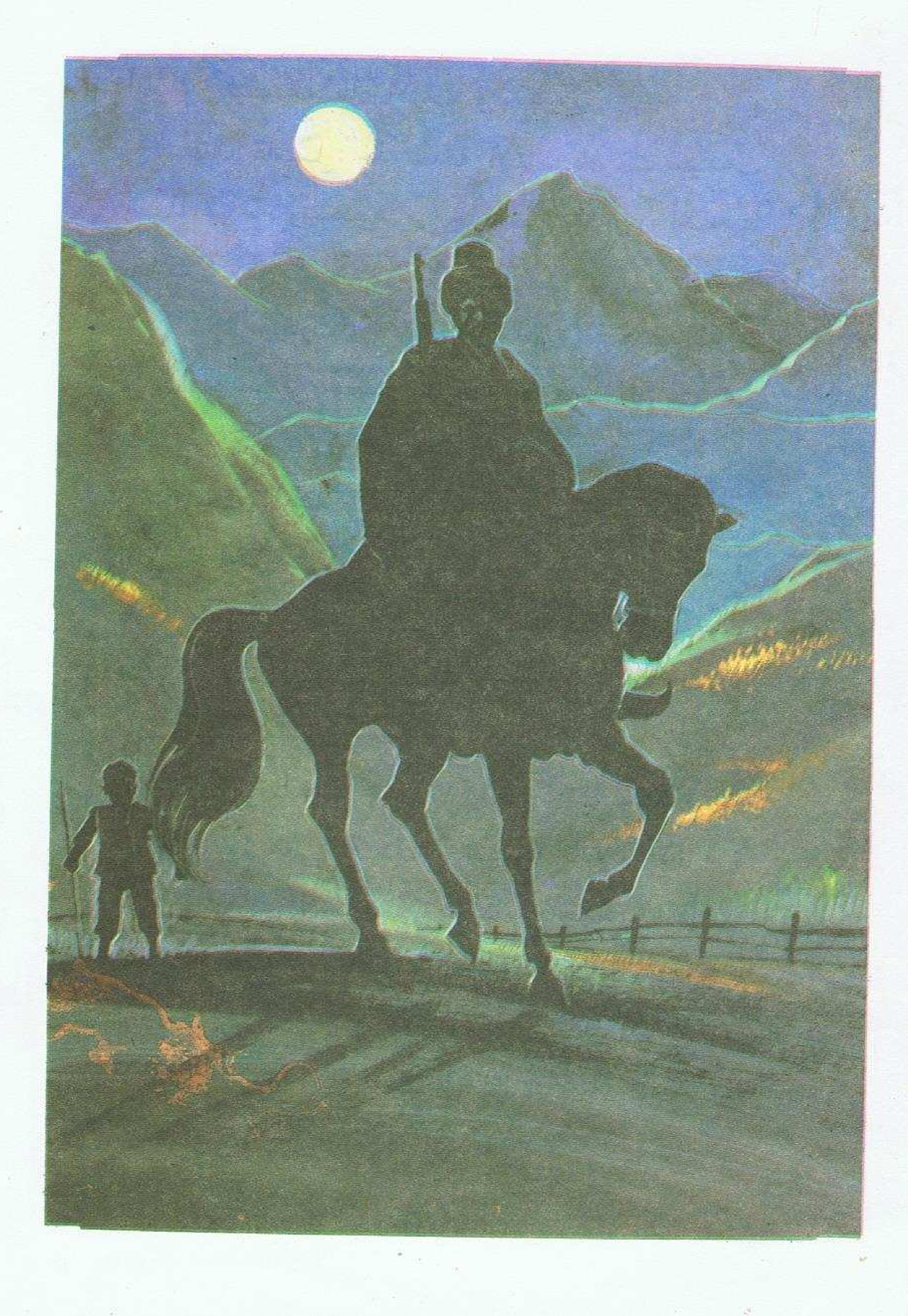
فقالَ هامِساً : خذْ بنُدقيةَ الآغا .. فانَّ ذلكَ سيُذهب الصَدأ عنها . . وسنحشوها من جديدٍ . . ولنْ يعلمَ أحـد بما حـَدثَ . .

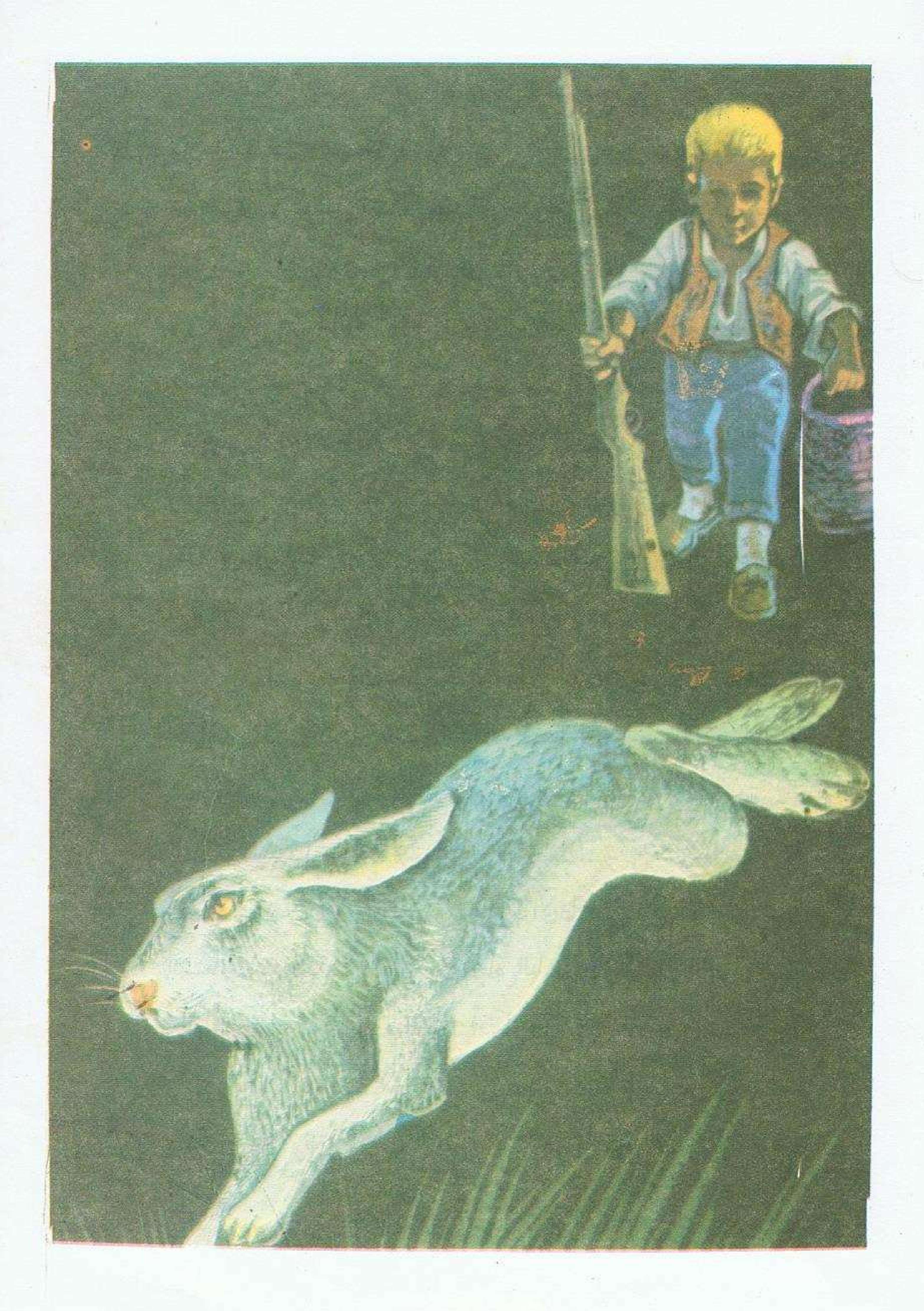
سِرنا مايُقاربُ رُبعَ ساعةٍ على الطريقِ في ضوءِ القمرِ .. وأخذنا نَصعدُ في هَضَبةٍ مُنبسِطةٍ ، وفجـأةً سمِعتُ عمي يَصرخُ حِذَار ، فالأرنبُ أمامكَ ! .

سمعتُ الاعشابَ تتحركُ ، ثم رأيتُ خيالَ أذنينِ يمرُ أمامي . . وخَرجتْ طلقتَانا في وقتٍ واحدٍ . . وهتَفَ بي عمي وهو يَلمُّ الارنبَ : يا عليُ . . لقَدْ تسببتَ في موتِ سنديانةٍ . لَقدْ أصابَتْها طلقتُكَ في الصميم ..

أحنيتُ رأسي في خجلٍ ولم أحُرْ جَواباً على الرغمِ من أني كنتُ موقِناً أشَدَّ اليقينِ من طلقتي كانتْ مسَدَّدةً خير تسْديدٍ ، ولم تخطىءِ الهـدفَ . حشَونا بُندقيـةَ الآغا مرةً أخرى وأعَدْناها إلى موضِعِها ، ثم نمنا من جَديد .

أفاقَ الآغا من نومـهِ في الصباحِ ، كانَ الارنب فوقَ الطاولةِ . . ورائحةُ لحمِـهِ تملأ الغُرفةَ .. وبدا الارتياحُ على الآغا لهَذا الصيدِ الجميلِ . . وخيلَ إليَّ أن رحلةَ الصيد قـد مرَّتْ بسلامٍ حينَ جلسنا معاً في الصباحِ !





لـكنَّ عمي ـ مع الأسفِ ـ تشجَّعَ إذْ رأى سروره وارتياحَه فلَمْ يمسِكْ نفسَهُ عن ممازَحتي قليلاً ، وأخذ يسردُ مُغامرتي وكيفَ قتلتُ سنديانةً . وما إن قالَ عمي أيةَ بندقية استعملتُ حتى توقفَ الآغا عن الاكلِ ، وظلتْ لُقمتُه مُعلقةً في الفضاءِ بين المائدةِ وفمِه . وغاص الدمُ في وجهه . وصاح بي بصوتٍ مخنوقٍ : كيفَ ياملعونُ . . لقد أطلقتَ النارَ من بُندقيتي ؟ ! ! فأجابَهُ عمي ضاحكاً : نعمْ يا آغا . . اطلق . . وأخطأ . . فاستمرَّ الآغا يَصيحُ بي : يا ملعونُ . . ياأحمقُ . . كانَ في البندقيةِ خمسٌ وعشرونَ ليرةً ذهبيةً . . خمسٌ وعشرون ليرةً في فمِ البندقيةِ . . فوقَ البارودِ .

حينئذٍ ، تجلتْ لنا الحقيقةُ التي أعيتْ سُكانَ المنطقةِ كلها . . فقدْ كانتْ بندقيةُ الآغا كيساً لَهُ ومحفَظةً ومخبأ أثناءَ سفَرهِ . . وفهمتُ حينذاكَ كلَ شيءٍ في لحظةٍ واحدةٍ . . لماذا لا يستعمِلُ الآغا بُندقيتَه أبداً . .

لم يَكن لي أملٌ في عفوِ الآغا عَنْ هذهِ الجريمةِ الشنعاءِ . . فأخذتُ أنظرُ في اتجاه البابِ عازماً على الفرارِ منهُ وإلقاءِ نفسي في أولِ مستنقعٍ أصادِفُهُ ، لادفنَ فيه مُصيبَتي . .

لكنَّ صوتَ عمي أوقفَني فجأةً عما عزمتُ عليهِ . . وامتزجَ بهِ رنينُ ليراتٍ ذهبيةٍ تتَدحرجُ على الصينية . وقالَ

عمي ضاحكاً : ها ، ها ، الآنَ فهمتُ لماذا كانَ الارنبُ عاسياً لا يطبخُ .. واستدارَ نحوي قائلاً : لاتخفْ يا علي .. الأمرُ أهونُ مما تظنُ . وقالَ يخاطبُ الآغا :

هذا الصبي صيادٌ من الطبقةِ الاولى .. وإنَّ لهُ مستقبلاً هائلاً .. فهوَ الذي أصابَ الارنبَ بطلقتهِ .. وأيةُ طلقةٍ ملوكيةٍ خمسٌ وعشرونَ ليرةً ذهبيةً ..

وعثرنا فوراً على الليراتِ الواحدةَ تلوُ الأخرى .. ونحنُ نُقطعُ الارنبَ .

وسألهُ الصيادونَ : كل الليراتِ يا أبا أحمد ؟.

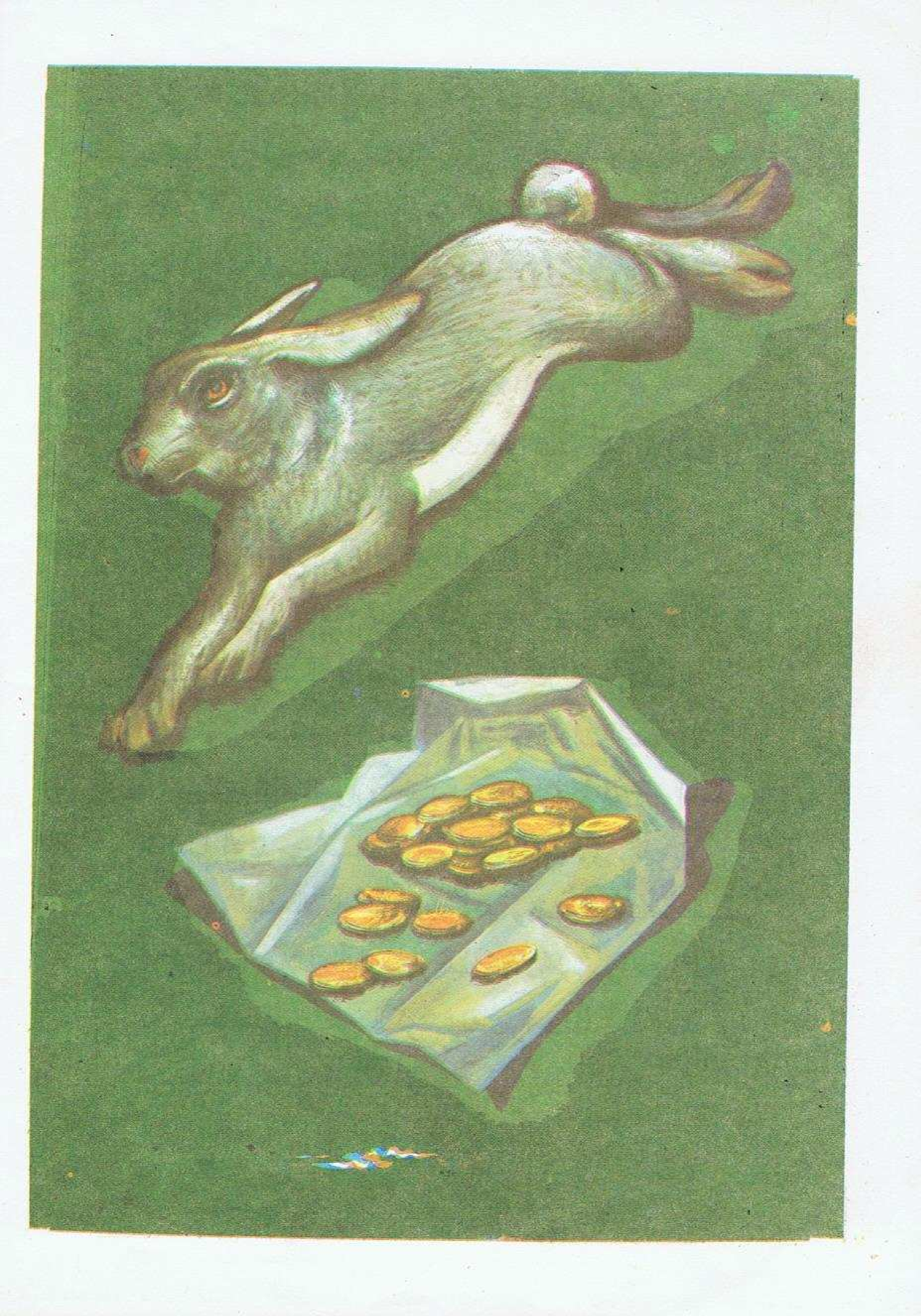
فأجابهم بثقةٍ : نعمْ واللهِ .. فقدْ كانتْ اضلاعُ الارنبِ محشوةً حشْواً بالذهبِ .. وانحشرتْ ليرتان في عُنقهِ ..

وسألوه قائلينَ : وهلْ استعدتم الليراتِ كلها !

لا ، لا تبالغُوا .. لقدْ نقصَ منها ليرةٌ واحدةٌ .. اقتطعها الآغا من حسابِ والدي بعدَ أخذٍ وردٍ طويلين ..

في تلك الأثناء كانَ المطرُ قد توقفَ ، وأخذتِ الشمسُ تشرقُ من خلالِ الغيوم ، وعبقتِ الارضُ برائحةِ المطرِ .. فخرجَ الصيادونَ من الكوخِ ليتابعوا صيْدَهم ، بعد أن استمعوا الى هذهِ القصةِ الشيقةِ .

ـ انتهت ـ



حكايات مصورة للأطفال

الملابس العجيبة الجديدة	الفطيرة الشهية
الامير والفيل الابيض	الحقيبة الطائرة
مازن رجل الفضاء	الملك ارثر
ملاك على الارض	تضحية أم
الوز الشرير	البلبل الحي
الصديق البخيل	الذئب الماكر
الامير المخاطر	الخروف الابيض
الارنب الجبان	سمير في بلاد الغرب
زهرة الاقحوان	الغنمة وخرافها
البندقية والذهب	سر الطحان

المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية
حلب - المسلمية - المنطقة الحرة -